(**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)**) .

[يوسف : ١٠٨] .

(**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**) يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، آمِرًا لَهُ أَنْ يخبر الناس أن هذه سبيله

أي طريقته وَمَسْلَكُهُ وَسُنَّتُهُ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

– قوله (أدعو إلى الله) لأن الدعاة إلى الله ينقسمون قسمين :

داع إلى الله .

وداع إلى نفسه .

فالداعي إلى الله هو المخلص الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله تعالى .

والداعي إلى نفسه يدعو إلى الحق لأجل أن يعظم بين الناس ويحترم .

- **قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب** : التنبيه على الإخلاص ، لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق ، فهو يدعو إلى نفسه .

(**عَلَى بَصِيرَةٍ**) أي : علم ، والعلم هنا يشمل :

أولاً : العلم بحال المدعو .

ولهذا قال ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : (إنك تأتي قوماً أهل كتاب) ليعرف حالهم ويستعد لهم ، فتعرف مستواه العلمي ومستواه الحديثي ، حتى تتأهب له وتجادله .

ثانياً : العلم فيما تدعو إليه :

بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي .

ثالثاً : أن يكون عالماً في كيفية الدعوة :

قال تعالى (ادع إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) .

(**أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**) قيل المعنى : أنا أدعو إلى الله على بصيرة ، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرة .

- **قال ابن كثير** : أي وَكُلُّ مَنِ اتَّبَعَهُ يَدْعُو إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَصِيرَةٍ ويقين وبرهان عقلي وشرعي.

وقيل : أنا وأتباعي على بصيرة .

(**وَسُبْحَانَ اللَّهِ**) أَيْ : وَأُنَزِّهُ اللَّهَ وَأُجِلُّهُ وَأُعَظِّمُهُ وَأُقَدِّسُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ عَدِيلٌ أَوْ نَدِيدٌ أَوْ وَلَدٌ أَوْ وَالِدٌ أَوْ صَاحِبَةٌ أَوْ وَزِيرٌ أو مشير، تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ عُلُوًّا كَبِيرًا (تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً) .

(**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) به في عبادته أو طاعته في أي وقت من الأوقات.

الفوائد :

١- يجب أن تكون الدعوة إلى الله قائمة على الحجة والبرهان .

٢- وجوب الإخلاص في الدعوة إلى الله .

٣- أنه يجب على الدعية أن يكون عالماً وبصيراً فيما يدعو إليه ، والعلم هنا يشمل :

(**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (١٠٩)**) .

[يوسف : ١٠٩] .

(**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً**) يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَرْسَلَ رُسُلَهُ مِنَ الرِّجَالِ لَا مِنَ النِّسَاءِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُوحِ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ بَنِي آدَمَ وَحْيَ تَشْرِيعٍ.

فليس في النساء نبية .

(**نُّوحِي إِلَيْهِم**) هذا من خصائص الأنبياء .

خصائص الأنبياء :

أولاً : تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (مَا كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا. قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: "يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ثانياً : يدفنون حيث يموتون .

قال ﷺ (لم يدفن نبي إلا حيث قبض) . رواه أحمد

ثالثاً : يخبرون عند موتهم .

قال ﷺ (ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة) . متفق عليه

رابعاً : أحياء في قبورهم .

وقد جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : (رأيت موسى يصلي في قبره) .

خامساً : لا تأكل الأرض أجسادهم .

قال ﷺ (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) . رواه أبو داود

سادساً : الوحي .

قال تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيّ) .

(**من أَهْلِ الْقُرَى**) الْمُرَادُ بِالْقُرَى الْمُدُنُ لَا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي الَّذِينَ هُمْ من أَجْفَى النَّاسِ طِبَاعًا وَأَخْلَاقًا، وَهَذَا هُوَ الْمَعْهُودُ الْمَعْرُوفُ أَنَّ أَهْلَ الْمُدُنِ أَرَقُّ طِبَاعًا وَأَلْطَفُ مِنْ أَهْلِ سَوَادِهِمْ، وَأَهْلُ الرِّيفِ وَالسَّوَادِ أَقْرَبُ حَالًا مِنَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي الْبَوَادِي .

– فإن قيل : ما الجواب عن قوله تعالى (وجاء بكم من البدو) ؟

قيل : أن المراد بقوله تعالى (وجاء بكم من البدو) موضع له يقال له : بدا . وقد ضعف هذا القول الشوكاني ، والآلوسي .

- **وقال الشنقيطي** : ولا يخفى بعد هذا القول .

وقيل : أن يعقوب عليه السلام من الحضر ثم انتقل بعد ذلك إلى البادية وتحول إليها، ولم يكن قبل من أهلها، ويدل على ذلك حال والده إبراهيم عليه السلام، وسكناه الشام، ويبدو أنه أصابهم فقر وجدب أو ضائقة ما فخرجوا من حاضرتهم، فقد قالوا: "يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر...

وقيل : أن البدو الذي جاءوا منه مستند للحضر فهو في حكمه.

وقيل : أن ذلك البدو لم يكن في أهل عمود، بل هو مستقر في منازل وربوع.

وقيل : أنه بدو بالنسبة لحاضرة مصر، كما القرية أحياناً للمدينة الكبيرة تبدو ليست بحاضرة. انظر: (المحرر الوجيز) لابن عطية.

وقيل : إن المراد بقول الله تعالى (**من أَهْلِ الْقُرَى**) أي : ليسوا من أهل السماء .

وذهب إليه ابن عاشور في (التحرير والتنوير): أن الآية لا تدل على الحصر، ومثل بيعقوب عليه السلام وأنه من أهل البدو.

(**أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ**) يعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الْأَرْضِ .

(**فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**) أَيْ : مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ، كَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا، كَقَوْلِهِ (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها) فَإِذَا اسْتَمَعُوا خَبَرَ ذَلِكَ رَأَوْا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ الْكَافِرِينَ وَنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذِهِ كَانَتْ سُنَّتَهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ .

كما قال تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا).

وقال تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) .

(سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) السير المشي و (فِي الْأَرْضِ) أي: على الأرض ف (في) بمعنى (على).

- وهذا السير يشمل السير بالأبدان والسير بالقلوب، والسير بالقلوب: أن يقرأ ويتأمل ما وقع للأمم السابقة من العقوبات، وذلك بقراءة تاريخهم بما صح منها ، وأصح شيء ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والسير بالأقدام بأن ينظروا بأبصارهم آثار المكذبين كما في قوله تعالى (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ).

(**وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ**) أي : الدار الآخرة خير للمؤمنين المتقين من هذه الدار التي ليس فيها قرار .

(**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**) أي : أفلا تعقلون فتؤمنون .

الفوائد :

١ - الأمر بالسير في الأرض للاعتبار ، سواء كان بالبصائر أو بالبصر.

٢ - فضل الاعتبار وأنه مطلوب.

٣ - عقوبة التكذيب لله ولرسله.

(**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّــواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)**) .

[يوسف : ١١٠] .

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ) فِي قَوْلِهِ: (كُذِبُوا) قِرَاءَتَانِ إِحْدَاهُمَا بِالتَّشْدِيدِ قَدْ كُذِّبُوا ، وهذا قول الأكثر . والمعنى عليها واضح أي : ظنّ الرسل بأن قومهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من العذاب ، ويجوز في هذا أن يكون فاعل ظنّ القوم المرسل إليهم على معنى أنهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما جاءوا به من الوعد والوعيد .

وأما قراءة (التخفيف) فاختلف العلماء في تفسيرها على أقوال :

- **قال ابن جزي** : قوله تعالى (وظنوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها ، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل ، والظن يحتمل أن يكون على بابه ، أو بمعنى اليقين : أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم .

وأما التخفيف، فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم، أي ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم.

- **والسعدي رحمه الله ذكر في تفسيره قولاً رجحه بعض العلماء؛ فقال:** يخبر تعالى أنه يرسل الرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون اللئام، وأن الله تعالى يمهلهم ليرجعوا إلى الحق، ولا يزال الله يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية الشدة منهم على الرسل.

حتى إن الرسل – على كمال يقينهم، وشدة تصديقهم بوعد الله ووعيده – ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس، ونوع من ضعف العلم والتصديق، فإذا بلغ الأمر هذه الحال (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ) وهم الرسل وأتباعهم (وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) أي: ولا يرد عذابنا، عمن اجترم، وتجرأ على الله (فما له من قوة ولا ناصر) . (التفسير) .

(**جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**) أي: جاءهم نصرنا الذي وعدناهم به، بأن أنزلنا العذاب على أعدائهم، فنجا من نشاء إنجاءه وهم المؤمنون بالرسل، ولا يرد بأسنا وعذابنا عن القوم المجرمين عند نزوله بهم.

الفوائد :

١- إذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذٍ قريبًا في الغالب.

قال تعالى (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ).

وأخبر عن يعقوب عليه السلام أنه لم ييأس من لقاء يوسف وقال لإخوته (اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ).

وقال (عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً).

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب، أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وجُدِ الإياس من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق بالخالق استجاب له وكشف عنه.

فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام أحمد. واستدل عليه بقول إبراهيم – عليه السلام – لما عرض عليه جبريل في الهواء وقال له: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفي من توكل عليه كما قال (ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ).

- **قال الفضيل:** والله ولو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كما تريد.
- والبلاء له فوائد :

ومنها: زوالُ قسوة القلوب وحدوثُ رقَّتِها.

قال بعضُ السلف إن العبدَ لَيُمْرضُ فيذكرُ ذُنُوبَهَ فَيَخْرُجَ منه مثلُ رَأْسِ الذباب من خشيةِ اللهِ فيغفرُ له.

ومنها: انْكِسارُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَ وذِلَّهُ وذلك أَحَبُ إلى اللهِ مِن كثيرٍ مِن طاعاتِ الطائعين.

ومنها: أنها تُوجِبُ لِلعبدِ الرجُوعَ بِقلبه إلى الله عز وجل والوقوفَ ببابه والتضرعَ لَهُ والاستكانة وذلك مِن أعظَمِ فوائِدِ البَلاءِ وقد ذَمَّ اللهُ مَن لا يَسْتكينُ لَهُ عند الشدائد

ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمنين.

والبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك على أعلى المقامات وأشرف الدرجات .

٢- حكمة الله تعالى في تأخير النصر .

٣- أن النصر مع الصبر .

٤-أن العاقبة للمؤمنين وهلاك المجرمين .

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

[يوسف : ١١١] .

(**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ**) أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم .

(**عِبْرَةٌ لأولِي الألْبَابِ**) أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضا، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

- **قال أبو حيان** : وإنما خص أولو الألباب لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر ، ومن له لب وأجاد النظر ، ورأى ما فيها من امتحان ولطف وإحسان ، علم أنه أمر من الله تعالى ، ومن عنده تعالى.
- **قال الرازي** : ووجه الاعتبار بقصصهم أمور :

الأول : أن الذي قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب، وإعلائه بعد حبسه في السجن وتمليكه مصر بعد أن كانوا يظنون به أنه عبد لهم ، وجمعه مع والديه وإخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة ، لقادر على إعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته.

الثاني : أن الإخبار عنه جار مجرى الإخبار عن الغيب ، فيكون معجزة دالة على صدق محمد ﷺ .

الثالث : أنه ذكر في أول السورة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص) ثم ذكر في آخرها (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأوْلِي الألباب) تنبيهاً على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة.

- **قال القشيري** : عِبْرةٌ منها للملوك في بَسْطِ العدل كما بسط يوسفُ عليه السلام ، وتأمينهم أحوال الرعية كما فعل يوسف حين أَحسن إليهم ، وأعتقهم حين مَلَكَهم.

وعبرة في قصصهم لأرباب التقوى ؛ فإن يوسفَ لما ترك هواه رقَّاه الله إلى ما رقَّاه.

وعبرةٌ لأهل الهوى فيما في اتباع الهى من شدة البلاء ، كامرأة العزيز لما تبعت هواها لقيت الضرَّ والفقر.

وعبرةٌ للمماليك في حضرة السادة ، كيوسف لما حفظ حرمة زليخا مَلَكَ مُلْكَ العزيز ، وصارت زليخا امرأته حلالاً.

وعبرةٌ في العفو عند المقدرة ، كيوسف عليه السلام حين تجاوز عن إخوته.

وعبرةٌ في ثمرة الصبر ، فيقعوب لما صبر على مقاساة حزنه ظفر يوماً بلقاء يوسف عليه السلام.

(**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى**) أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من الأحاديث المفتراة المختلقة .

(**وَلَكِنْ**) كان .

(**تصديق الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**) أَيْ: مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَهُوَ يُصَدِّقُ مَا فِيهَا مِنَ الصَّحِيحِ، وَيَنْفِي مَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ تَحْرِيفٍ وَتَبْدِيلٍ وَتَغْيِيرٍ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهَا بِالنَّسَخِ أَوِ التَّقْرِيرِ.

(**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**) يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين.

كما قال تعالى (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكتاب مِن شَيء) .

وقال تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) .

- **قال ابن كثير** : مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ وَمَحْبُوبٍ وَمَكْرُوهٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ بِالطَّاعَاتِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَمَا شَاكَلَهَا مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ، والإخبار عن الأمور الْجَلِيَّةِ، وَعَنِ الْغُيُوبِ الْمُسْتَقْبَلَةِ الْمُجْمَلَةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ، وَالْإِخْبَارِ

عن الرب تبارك وتعالى وبالأسماء والصفات، وتنزهه عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ .

(**وَهُدًى**) أي: بيان ودلالة، أي: أي هاد لمن اتبعه وعمل بما فيه لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة.

– فالقرآن العظيم يُطلق هداه على الهدى العام، ويطلق هداه على الهدى الخاص، فالهدى العام معناه بيان الطريق وإيضاح المحجة البيضاء، وبيان الحق من الباطل، والنافع من الضار، ومنه (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) أي: بينا الحق على لسان نبينا صالح، ومنه قوله تعالى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ). وأما الهدى الخاص فمعناه توفيق الله لعبده حتى يهتدي إلى ما يرضي ربه، ويكون سبب دخوله الجنة، ومنه قوله (مَنْ يَهْدِ **اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي**).

(**وَرَحْمَةً**) فإن العمل بكتاب الله رحمة وهداية ونور للبشرية، وبها تحصل السعادة والخير الكثير.

أي: تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال، وبيان الحق والباطل، والغيّ والرشد، ويحصل أيضاً لهم به الرحمة، وهي: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفي عنهم بذلك الضلال والشقاء.

(**لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) بالله ويعملون بشرائعه .

- **قال القرطبي**: قوله تعالى (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خص المؤمنون لأنهم المنتفعون به.

كما قال تعالى (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)

وقوله (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا).

وقوله (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ).

أما القوم الذين سبق لهم الشقاء فهو حجة عليهم يدخلون به النار .

كما قال تعالى (وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) .

الفوائد :

١– أن من فوائد قصص الأنبياء العظة والاعتبار .

٢– الحث على قراءة قصص الأنبياء لما فيها من العبر والعظات .

٣– أن القرآن هداية لمن آمن يهديه لكل طريق صحيح.

٤ – أنه كلما قوي إيمان الشخص كانت هدايته أقوى، (والحكم المعلق بوصف يزيد بزيادته وينقص بنقصه) فمن كان إيمانه أقوى كانت هدايته أكثر.

٥ – فضل الإيمان.

والله أعلم .

٢٢ رمضان ١٤٤٠هـ